فصلية

قصة الميلاد

القاها الأستاذ محمود محمد الحبيب في جامع المظفر بالعشار بمناسبة عيد ميلاد الحسين(ع) وقد نالت اعجاب الحاضرين

المحرر

كانت طلائع السحر المسجدية تتسلل بهدوء من بين الكثبان الرملية ، والجبال العالية نحو « المدينة » فتدحر امامها ذيول الليل الموهنة . ولم تمض ساعة واحدة ، حتى كانت ذكاء قد استوت على عرشها ضاحكة الانوار ، وقد احالت الصحراء المترامية الى معبد قدسي ، ارتفعت منه الاناشيد والتراتيل الجميلة المنبعثة من موسيقى الانسام وحداء ادلاء القوافل ، واغنيات الرعاة وثغاء الشياه وزقزقة العصافير ، وشدو الحمائم . فاستيقظت المدينة لتلفظ ابناءها الى رحاب الشوارع واروقة المساجد ، وزحمة العيش وصيال الكدح .

وفي احدى دور بني هاشم ، كان الداخل يرى شخصاً مهيب الطلعة ، وضاح الجبين ، في سيماء عنفوان الرجولة ، وفي اهابه صولة الليث ، وقد افاضت عليه حلاوة الايمان هالة من مهابة ، واكليلا من وداعة هادئة تسري الى القلب ؛ فتود لو اطالت اليه النظر دون ان يدركك الملل . . .

كان ذلك الشخص جالساً على حصير بال ، وهو ينكث الارض بعود في يده ، وقد غامت عيناه في عوالم مجهولة ، وانصرف بخواطره عن كل شيء ؛ الا اما اشغل باله ؛ واستحوذ على مشاعره - وهيمن على كل جارحة فيه .

كان قلقا يرمق السماء الواسعة احياناً كشاعر حالم ، ثم يرتد ببصره الى ماحوله فيلمح ابن عمه المصطفى (ص) جالساً الى جانبه وقد التف حوله فتيان بني هاشم وشيوخهم ؛ وهم ينظرون اليه باعين تنطق بالتشجيع ، ويلطفون ثورته النفسية بابتسامات مشرقة اندى من النسيم ، واعذب من الماء السلسبيل في فم صاد ضل في بيداء قاحلة . . وكان يحاول ان يغتصب ابتسامة ليرد عليهم ولكنها وان رصعت فاه فهي لاتخلو من الم مايحس به من اضطراب داخلي .

كان الموقف حرجا ؛ وقد ادرك الجالسون مافيه من توتر في الاعصاب ، ووجيب في القلوب ، واندفاعات في الخواطر التي تأبى الاستقرار ؛ اللهم الا النبي (ص) فهو الرجل الوحيد الذي شعر باطمئنان عميق يؤنسه في هذا الجو الملبد بالازمات النفسية فالاتصال الروحي بالله عزوجل ، كشف امام ناظريه مالايستغلق على سواه من اسرار المجهول . . فالتفت الى ابن عمه قائلا « تشجع يابا الحسن فالله معنا » فرد عليه الامام بصوت متهدج « ان قلبي شاعر بمايحسه المؤمن في هذه الساعات ، ولكنه فداك روحي قلب الزوج الحنون العالم بما يعتور قسيمة حياته من الآم المخاض القاسية » . ثم غمره صمت عميق ، حدا بالجالسين الى السكوت حتى لتكاد تسمع دبيب الانفاس في الصدور .

كان ماحدث ، حادثاً عجيباً ، وشيئاً مخالفاً لسنن الطبيعة التي الفها الناس . . فزوج الامام « فاطمة الزهراء » احست بالمخاض واوجاعه في شهر حملها السادس وهذا امر لم يقع في تأريخ النساء الا في ولادة نبي واحد . . كما ان علم الطب الحديث يؤكد لنا ان الطفل الذي يولد في مثل هذه الحالة لايلبث ان

توافيني كل شهر فوجدتها في حقيقتها التي تمثل صحافة الاخلاق بقدر ما تمثل اخلاق الصحافة ؛ ولقد تمنيت لو تحذوا حذوها سائر مجلات مصر وسورية " فلا تعود تطلع علينا بالمرة طلعة مريبة تجمع بين الوقار والاسفاف وبين السخاء وروح المراباة .

ولعمري انني لم اعد اشك ابداً في ان الواقع هو هذا بالضبط وان رجال الصحافة اذا لم يربئوا فيعدلوا عن ايلاج الحقائق في الحماقات وعن ترقيع النقائض بخيوط التزوير فلا محالة انهم سيقذفون بالمجتمع الاسلامي الى مصائر حالكه شائكة الفجاج .

ان صيانة الاخلاق مهنة وطنية لايحترفها الا الذين يعتقدون انها بعض الدفاع عن حوزة الوطن ، ومن هنا ينبغي للصحفيين ان يختاروا لانفسهم احد الشيئين ... اما الخيانة العظمى بتدمير اخلاق الامة ، واما الاخلاص لها بتضحية اطماعهم واهوائهم في سبيلها المستقيم ! !

وبعد ، فهل تحيي الصحافة على الاخلاق ؟

النجف

صدر الدين

يموت بعد دقائق من ولادته لنقص نموه المتناظر ، اذلن يستكمل خلقه الا في الشهرين السابع والتاسع .. اذن فما الذي ينتظر هذا المولود ليقادم قبل الاوان الى حياة جديدة ؟ ؟ هذا مادعا الامام ان يستجيب لعوامل القلق النفسي فتمتلكه الافكار المتضاربة فلا يقر له قرار ... ومع ذلك فكلما صافحت عيناه عيني المصطفى — ص — ولاحظ توهجها الغريب ، وتلك الغبطة التي ترف على محياه الزاهر ، شعر بالراحة ، وراقت عليه لذاذات هنيئة ، ومتع روحية عميقة الاثر ، تطرد عن افقه مايغزوه من الاشباح السوداء ، فينقلب بعواطفه وجوارحه الى الف اذن واذن ، ويمد السمع مرهفاً نحو غرفة زوجه فلا يسمع الا اصوات النساء النامة عن التشجيع وطلب الصبر ، والدعاء وغيره ... فيود لو تصرمت هذه الدقائق السائرة ببطء ليحس من بعدها بسلامة المتألب ، وروعة الخاتمة ، وليطبع على جبين مولوده قبلة عميقة يودعها هذا الخضم من الشوق الزاخر في اعماقه ... ولكن الدقائق تنطوي على مهل ؛ حتى ليخالها شيخاً يدب موهن الخطا على قنة جبل باذخ .. وهي تسجل في طريقها الاف الهواجس المرفرفة على محيا الوالد الذي ينتظر انتظار ارض جزر لوابل من السماء .

ما اروع هذه الصورة الفنية الدقيقة الخطوط ، الرائعة الظلال ، التي نطق بها وجد الامام — ع — ففيها يرى الناظر فرحة الاب بطفله الجديد ؛ وجزع الزوج الخائف على مصير زوجه ، ورهبة الانسان العاجز امام قوة المجهول الخفي واطمئنان المؤمن بعطف خالقه ، وصبر العبد على امتحان ربه ... وهكذا اصطخبت عوامل الالم بالامل ؛ والخوف بالرجاء ، والصبر بالايمان والضعف بالتجلد ؛ والعجلة بالاناة والتريث ... وظل مسرحا تمثل عليه اعنف الفصول .. وهو مع كل ذلك الرجل العظيم الكاظم لعواطفه ، المنصرف لربه في دعاء خافت ، وصلاة فكر وتلاوة آي محكمات .

وبينا هو يغمغم بما يمنحه هدوء البال ؛ واستقرار العاطفة اذ تعالت الاصوات من الداخل ، وارتفع دعاء الهاشميات ؛ يبعث الرعشة في الاجسام لحرارته ، وانبعاثه من قلوب صادقة الولاء ناضة المحبة ، فأحس « ابو الحسن » بان قلبه يكاد يثب من بين وجيبه ، وتدفقت الدماء حارة من عروقه ، وتفصد من العرق البارد ؛ فراح يمسحها بيد مرتجفة وهو يتضرع في سره الى الله تعالى ان يخفف عن زوجه الآمها ومتاعبها ، ويكشف عنها هذه الغمامة الثقيلة ، واخذت روحه ترفرف حول الدار رفيف الطير الحنون حول اكنانها وفراخها

وهبطت ارادة السماء فدوت في الدار الزغاريد ، وعلا صوت البشير يهتف بمولد الطفل شبل حيدرة وحفيد محمد ... فارتفع للهاشميين هتاف عالي ، وتسبيح ذو نغم عذب ، هذا والفرحة الكبرى تسكب عليهم طراوة الحياة ومسراتها ؛ وولد عيد سعيد في تاريخ آل محمد بمولد السبط .

اما الامام ... اما الاب المشوق ... فقد ام زاوية في الدار شاكراً الله احسانه ، ثم هرول الى الداخل والحنين الطاغي يسبقه بخطوات ، فهنأ زوجه بسلامتها وبطفلها ، ثم انحنى عليه وطبع على جبينه قبلة خيل للحاضرين انها قد استمدت قوتها من اعماق روح الامام .

اهتزت « المدينة » لوقع معجزة الميلاد ، واكتضت دور الهاشميين والمساجد بالمسلمين المغتبطين بهذا العيد وسرى النبأ يغزو الامصار ففرح المحبون ؛ اما الذين تحجرت افئدتهم فقد رج الخبر المعجز عقولهم رجا .

وعمر الاسابيع ، وفي ذات مساء في جلسة عائلية ، كان النبي محمد (ص) جالساً يحف به ابن عمه وابنته فاطمة وصفوة من ذوي قرباه ، وقد اجلس حسناً والحسين في حجره ، راح ينظر الى الطفل نظرة عميقة بهت لها الجميع ثم اخذ يقبله والدموع تنهمر من عينيه ، وكانت حالة مؤلمة حتى بكت لها « فاطمة » فقالت « ابتي ما يبكيك ؟ » فنظر اليها النبي ثم الى الطفل وسبحت خواطره الى المستقبل البعيد تلبح ابوابه ، وتكشف عن اسراره في حياة البشر ، فاذا بالحفيد له قصة دامية ستكتب سطورها بالدموع والدماء ، وسيكون مصرعه حادثاً يغير وجه التاريخ

اما فاطمة .. اما الحاضرون فقد ظلوا ينتظرون الجواب ولكن النبي انطوى على نفسه ، وانصرف بكافة جوارحه لقراءة سطور المجهول ...

وارتمت الشمس خلف الجبال في ثوبها الذهبي .. واحتضن الكون ليل داج ترصعه نجوم ذات بصيص خافت ... والنبي مستغرق في تفكيره العميق .

البصرة

محمود محمد الحبيب